مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449
مجلد : 11 عدد 2 السنة :2012

جماليات التكرار في الحديث النبوي الشريف

د/ رياض بن الشيخ الحسين
جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية-قسنطينة

تاريخ الاستلام: ../../.... تاريخ القبول: ../../.... تاريخ النشر: 2012 /06/02

يمثل الحديث النبوي ثاني نص فني بلاغي راقي المستوى بعد القرآن الكريم، إذ يستخدم الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام أساليب فنية بلاغية متعددة بتعدد نفوس البشر فمنها النفس المتشردة و منها الغليظة ومنها المراوغة المتفلتة والمتمنعة، ومنها الرخوة ومنها المتصلبة ، لذلك نجده صلى الله عليه وسلم، يخاطب هذه النفوس كلا منها بما يناسبها من أنواع الخطاب، فإذا كانت النفس تميل إلى التشدد، نجد خطاب الحديث أميل إلى الزجر، وإذا مالت إلى الغلظة، فإن النبي بحكمته يطببها بالحلم والصبر وأما إن كانت النفس متفلتة مراوغة، فإنه بذكائه البالغ يقارعها بالحجة ، وفي كل أساليب معاملته يتحرى الحكمة و إقناع المتلقي، لأنه يعلم بأن المخاطب بشتى أنواعه يحتاج إلى إزاحة بقايا الشك التي تقبع في العقل و القلب معا، وإن نفض غبار الشك والريبة من عمقهما ،فن لا يجيده إلا من يمتلك أدواته ، والحديث النبوي الشريف أبو الفنون بعد القرآن الكريم ويأتي في أعلى درجات البلاغة، لأن صاحبه صلى الله عليه وسلم أعطي جوامع الكلم، كما قال عليه الصلاة والسلام " أعطيت..."[1]

فهو يراعي جميع مستويات العقل، لأنه في دعوة ، لا يخص بها فئة معينة من الناس، بل يعني الناس كافة على اختلاف عقولهم و مشاربهم ، فيتطلب ذلك إذن أساليب مختلفة تتوجها جميعا الحجية و الحكمة ، ومن الحكمة مراعاة مقتضى الحال، أي دعوة كل شخص بحسب حالته النفسية و طبيعة انقياده ، و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم حينما خاطب البشرية قاطبة، تارة يخاطب العقل ويخاطب العاطفة تارة أخرى ، وكان في مخاطبته لذلك و لتلك مجادلا و محاججا من أجل إثبات الحق ، وهذا من أهم الأساليب عنده صلى الله عليه و سلم ، التي يظهر فيها دقة لفظه و قوة عبارته ورصانة أسلوبه ، وتحصل في نفس المتلقي متعة وحلاوة و لذة و طلاوة ، فتكون هي مناط التأثير والاستدراج و الانقياد، ومن هذه الأساليب الإقناعية المتنوعة التي يوشح بها

[1] أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، حديث رقم 523 كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، من حديث أبي هريرة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 1954ج 1، ص 372

الرسول صلى الله عليه وسلم خطابه و يكسبه تأثيرا بالغا في السامع أو القارئ معا أسلوب بلاغي فني قوي كان يعتمده فيما كان لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، أي كلامه صلى الله عليه وسلم، ألا وهو أسلوب أو آلية التكرار.

بلاغة التكرار في الخطاب النبوي :

تندرج آلية التكرار ضمن أنواع الأدوات الفنية المتاحة في اللغة العربية، التي تستخدم في ترصيع الكلام و توشيحه و تزيينه و توكيده بغية الإقناع ، و لذلك نجد هذه الآلية الإقناعية تبرز في الحديث النبوي فتكون على رأس تلك الآليات أو الأدوات ،و أقواها إقناعا عند العلماء و الدارسين المهتمين بالشؤون النفسية الذين أدركوا من خلال التجربة، بأنه لكي يتحول مجرد انفعال الشخص إلى عاطفة لا بد أن يحدث أكثر من مرة واحدة حتى يرسخ في النفس [1] وقد أشار إلى هذا البعد القيمي أنس بن مالك رضي الله عنهما في رواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم " أنه كان إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيهِم سَلَّمَ عَلَيهِم ثَلاَثًا " [2].

و تجدر بنا الإشارة إلى أن التكرار يتفرع من آلية بلاغية أكبر و هي الإطناب أو كما تعارف عليه البلاغيون المحدثون بالتمطيط الذي شاع استعماله في الدراسات الحداثية الأجنبية على الخصوص [3] ، و هو "كون الكلام زائدا عما يمكن أن تؤدى به من المعاني في معتاد الفصحاء لفائدة تقصد "[4]و قد تقيد هذا المفهوم بشرط حصول الفائدة من الزوائد اللغوية التي تقتحم البنى الأصلية للنص ، حتى لا تكون مجرد حشو أو تطويل معيبين و ممجوجين ، و قد أشار الجاحط إلى ذلك بقوله :" الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل" [5]و قد تعارف الدارسون و النقاد على أن لاستعمال الإطناب مسوغين : الأول نفسي، حيث يحقق الراحة والفسحة للتعبير عن الموقف، والثاني بلاغي يتعلق بقارئهّ أو سامعه، من حيث إخباره بمحتوى ومعاني النص وإمتاعه بشكله ومبناه المتماهية مع أفكاره و تصوراته [6] ، و من الطرائق إذن التي يحصل بها الاطناب المفيد في غير خطل –كما قال

[1] علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حديث رقم 95 ،كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، مكتبة الإيمان ، القاهرة / مصر 2003 ، ج1 ص 227

[2] محمد عثمان نجاتي : الحديث النبوي الشريف و علم النفس ، دار الشروق ،ط/4 القاهرة 2000 م ص 176

[3] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء / المغرب 1986 ، ص 125

[4] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها ، دار القلم للطباعة ، دمشق ، ط1/1996 ص 60

[5] الجاحط : البيان و التبين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة / مصر 2006 ، ج1،ص 97

[6] حميد حماموشي : آليات الشعرية بين التأصيل و التحديث – مقاربة تشريحية لرسائل ابن زيدون ، عالم الكتب الحديث ، الأردن 2013 ،

الجاحظ – التكرار أو التكرير: Répétition ، فهو ظاهرة بلاغية جمالية لم تحظ لدى الناقد العربي القديم بالاهتمام المطلوب ، و لم يوظفها كصورة فنية ، بل الذي حدث هو العكس تماما إذ اعتبرت سلبية تتردى بمستوى النص إلى الابتذال و الرتابة ، رغم وجود التكرار كظاهرة لغوية في تراثنا الأدبي، كما في أسلوب القرآن الكريم، إلا أن الدراسات النقدية و البلاغية تصدت للحؤول دون تكريس هذا الحكم المسبق و العفوي على بلاغة التكرار، بتسليطها الضوء على قيمته الأسلوبية المتجلية في وجوه لغوية وجمالية كثيرة ، ويعد الجاحظ من الأولين الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة الأسلوبية، مبينا محاسنها و مساوئها على حد سواء، فقال:" ليس التكرار عيًا ما دام لحكمة كتقرير المعنى أو خطاب الغبي أو الساهي، كما أن ترداد الألفاظ ، ليس ما لم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث" [1] ، فدل على أن هذه المزية الشائعة في الكلام العربي والمتداولة على الألسنة لها حدود وضوابط، تتناسب مع المقام الذي يؤول إلى الفهم، كما حظي

التكرار باهتمام كل من ابن رشيق وابن الأثير وقسماه إلى أقسام مفيدة و غير مفيدة [2]، حيث اعتبر ابن الأثير أن استعماله يكون للدلالة على العناية بالشيء الذي تكرر فيه الكلام، إما على سبيل المبالغة أو المدح أو الذم أو نحو ذلك [3] لكن الدراسات اللغوية و البلاغية الحديثة، نحت به منحى جديدا، حين اعتبرته ضرورة من ضرورات الجمال في أي نص من النصوص الأدبية الإبداعية ، ولا بأس من إيراد بعض الآراء لشعراء و نقاد معاصرين، حول قيمة التكرار في إنشاء النص، حتى نمزج بين الآراء القديمة و الحديثة فيحصل الإدراك الجيد للجمالية المقصود البحث فيه و من بين هؤلاء مثلا ، ترى نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" " أن التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها،وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر و يحلل نفسية كاتبه "[4] فتعتبر نازك الحالة النفسية التي تعتور الشاعر، سببا جوهريا لحضور التكرار أثناء الكتابة وتوارده في ذهن الكاتب، ويرى هؤلاء المهتمون كذلك أن التكرار يكتسب جماليته كبديل فني في النص الأدبي المعاصر ، حيث أصبح يدخل

ص 263

[1] الجاحظ:البيان و التبيين،ج1،ص79

[2] انظر ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت / لبنان ، ط 5 / 1981، ج2 ص 92

[3] انظر ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،بيروت/لبنان 1999،ص 147

[4] نازك الملائكة :قضايا الشعر المعاصر ،مطبعة دار التضامن –بغداد –العراق، ط/2–1965 ، ص 242

ضمن العناصر المكونة للبناء النصي لفظا ومعنى و إيقاعا [1] ، ومن الباحثين المغاربة أيضا من اهتم بهذه الظاهرة الجمالية مثل محمد بنيس، الذي يرى بأن التكرار له علاقة بالتوضيفات اللغوية التي يجريها الشاعر في نصه، إذ يستخرجه في الاستعاضة به عن أدوات الربط التي قد تسيئ إلى جماليات النص و القلة من استخدامها " ترفع عنه عبء الرتابة ، و تطلق له حرية الانسياب الباطني الذي يمتح منه الشاعر"[2] و يرى محمد مفتاح أيضا أن " تكرار الأصوات و الكلمات و التراكيب ، ليس ضروريا لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية و التداولية ، و لكنه شرط كمال أو محسن أو لعب لغوي ، و مع ذلك فإنه يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية"[3].

ونعتقد أن التكرار بالإضافة إلى كونه آلية أسلوبية و بلاغية، فإنه يحوز أيضا الصفة التبادلية، لأن الغرض الأساسي منه، هو تحقيق التواصل بين الشاعر و القارئ ، فلا تتحقق غاياته التأثيرية والجمالية المتجاوزة لمستوى الإخبار و التوصيل، إلا بالتكرار حين يختاره الشاعر قاصدا جعله كوسيلة يقوم من خلالها بعدة وظائف في نصه كالنفسية والجمالية مثلا، حيث يقوم التكرار بوظيفته ، النفسية فيكون بمثابة المفرغ للشحنات الانفعالية الشعورية، ويقوم بوظيفته الفنية والجمالية المستطرفة، فيكون مؤكدا مثبتا للمعاني المنتشرة في النص و ممكنا لها في ذات المتلقي، الذي يتابع تناميها و تصاعدها من خلال التكرار و دوره الفاعل في تكثيف البث الايحائي والجمالي.

ونأتي في هذه الورقة البحثية لنطبق هذه المفاهيم البلاغية والأدبية على نص الحديث النبوي الشريف الذي أوتي جوامع الكلم ، حيث استخدم الرسول صلى الله عليه و سلم آلية التكرار، وكان من بين مقاصد استخدامه له حصول المتعة و القناعة معا مما يحتويه الحديث من ألوان الجمال و الفصاحة ، وكان التكرار أقوى الأساليب اللغوية النبوية لتحقيقهما ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصده قصدا متعمدا ، ليس عن عجز في التعبير، بل كان يصطنعه إذا وجد لذلك ضرورة والتكرار في موضعه في مفهوم البلاغة و الفصاحة النبوية هو كالحاجة إلى الإيجاز تماما ، الذي كانت تفضله العرب في فصاحتها ولاستعمال التكرار في الحديث النبوي أشكال أو أنواع سنأتي على بعضها بشيء من التفصيل :

1 – جماليات تكرار اللفظ :

[1] عبد القادر عبو: فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2007 ، ص 165

[2] محمد بنيس : الشعر العربي الحديث – الشعر المعاصر ، دار توبقال – الدار البيضاء 2001 ، ص 76

[3] محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ،استراتيجية التناص ، ص39

اعتبر علماء البلاغة العرب القدماء بلاغة اللفظ و عذوبته هي سر الجمال و الإعجاز في الكلام عموما و جمال الأدب خصوصا، وحصروا فصاحة المفردة الواحدة منفردة في عدة مزايا ذكرها ابن سنان الخفاجي في كتابه " سر الفصاحة " فتمتاز اللفظة بحروفها المعتدلة المتباعدة المخارج و ليست من غريب اللفظ الذي يصعب استيعابه و فهمه أو من مبتذل الكلام الذي يكره سماعه [1] فجعل البلاغيون هذه الشروط أساسا في إحداث الجمال الفني في صياغة النص المنطلق من اختيار الألفاظ و سلامة نطقها و انسجام أصواتها ، و تحقيق الإيقاع فيما بينها ، و قد ذهب عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" إلى أن الكلمة المفردة تكسب جمالها من ارتباطها بكلمات أخراة سابقة عنها أو لاحقة بها و يقصد بذلك وجود المفردة في السياق الذي ترد فيه ، فتجعل لها وظيفتين نحوية و أخرى بلاغية يكون الهدف منهما إحداث المتعة في خوالج المتلقي ، و يعبر عن ذلك بقوله :" لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض و يبنى بعضها على بعض ، و تجعل هذه بسبب تلك ..." [2] ، و كمثال على ذلك من القرآن الكريم :لفظة "اشتعل" في قوله تعالى :" قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا "[3]، فلم تكن اللفظة تكتسب هذه الفصاحة و الجمالية و براعة التصوير لولا ورودها في سياق ارتبطت فيه بالرأس و الشيب و يرى حسين جمعة في كتابه "جمالية الكلمة" أن اللفظة الواحدة ذات إيحاءات كثيرة ، فكيفما وضعت و قلبت أدت المعاني المرادة منها التي لا تنفد ، و يدل على ذلك قوله تعالى :" قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا "[4]

و تبرز براعة الرسول صلى الله عليه و سلم في اختيار ألفاظه ، و مراعاة الفروق الدقيقة بين معانيها ، حيث تتجلى جمالية اللفظة النبوية في قدرة النبي عليه الصلاة و السلام على التعبير و التصوير ، فيجعل متلقيه و كأنه يستقبل لوحة فنية غاية في الجمال و المتعة و الباحث في ألفاظ الرسول صلى الله عليه و سلم يجده يغترفها من معجمه اللغوي الخاص الذي وهبه الله عز و جل أياه و ما نشأته و ترعرعه في بيئتين الأول حضري والثاني بدوي، إلا دليل على خصوصية معجمه و فخامة فصاحته و متانتها و وضوح دلالتها ، و قد عبر عن ذلك بقوله : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، و من أمثلة تكراره صلى الله عليه و سلم للفظة واحدة ، تكريره للفظ الجلالة الدال على الألوهية

[1] ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة وما بعدها ، دار الكتب العلمية ط 1 بيروت / لبنان 1982 ص 64

[2] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط 2 القاهرة . مصر 1989 ، ص 55

[3] سورة مريم – الآية 4

[4] سورة الكهف – الآية109

حين يقول: " اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ " [1] كما كرر عددا من الألفاظ الأخرى (أصحاب – أحب– أبغض– آذى) و في هذا دلالة على أن النبي عليه الصلاة و السلام ، تتملكه علاقة الود و المحبة اللتين يكنهما لصحابته رضوان الله عليهم ، و إكرامهم و إعلاء شأنهم يحمل دلالة المكانة التي يحتلونها في نفسه و عند الله سبحانه و تعالى أيضا ، كما تشي مقابلة الجمل ببعضها ، على حرصه على توقيرهم و الالتزام باحترامهم [2] لأن ذلك له علاقة بصدق العقيدة و الإيمان و لعل هذا الحرص الذي يظهره الرسول صلى الله عليه و سلم ، مرتبط بالعامل الزمني ، لا في حال وجوده بينهم فقط ، و لكن التركيز أكثر على الزمن الذي يأتي بعد وفاته ، و يربط حتمية الاحترام و الإكبار للصحابة بمسألة أهم و هي الاتحاد الذي يشكل سداد الأمان لبقاء و سلامة و رسوخ العقيدة الإسلامية من بعده عليه الصلاة و السلام.

و يلاحظ في النص النبوي أن لكل لفظة ضمن السياق دلالتها ، و تكرارها يفضي إلى الانتباه إليها ، فتقوم بتأكيد الغاية التي وردت من أجلها في نفس متلقيها ، و يزيد في تأكيدها ، الأثر العاطفي الذي يحدثه ذلك التناغم ما بين أجزاء التركيب النصي و يرد تكرار اللفظة أيضا في مثال آخر يقول فيه الرسول صلى الله عليه و سلم :" خيُركم خيرُكم لأهله، وأنا خيركُم لأهلي " [3] ، هذا الحديث يحمل الدلالة على التنبيه على أن أعز الناس عند الشخص و أحقهم بخيره و مودته هم الأهل و كررها مرتين كما كرر الأشخاص الذين هم أحق بصنيع خيره و خصهم بلفظة "خيركم" و كررها للدلالة على الأسبقية و أحسن المكانة و الرتبة ، لأنه يوجد في حياة الشخص من يستحقون معاملته لهم بالخير هم أيضا ، لكن الأسبق و الأكثر هم أهله [4] ، و لابد أن نشير إلى أن الرسول صلى الله عليه و سلم ، يضع في حديثه كل كلمة في مكانها الصحيح و المناسب للمعنى الدقيق الذي وضعت له ، لأن الكلمة العربية تحتوي في ذاتها خاصية تتميز بها ، كما يمتلك مكنة ربانية في التصرف بالمفردات فيجعلها ملائمة للسياق و مراعية للمقام .

2 – جمالية تكرار الحرف..الصوت:

[1] محمد عيسى الترمذي: الجامع الصحيح، حديث رقم 3862 في فضائل الصحابة ، باب في من سب الصحابة من حديث عبد الله بن مغفل وزارة الشؤون الإسلامية و الدعوة و الإرشاد .السعودية 2000 ، ج 5 ، ص 696 .

[2] عزالدين علي السيد : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار إقرأ ، ط1مصر /1984 ص 90

[3] محمد عيسى الترمذي: الجامع الصحيح ، ج 5 ، ص369

[4] عزيز العمراني الإدريسي : مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف –مجلة شبكة ضياء عدد /10 .2017 ص 48

ما يمكن ملاحظته في المجال الصوتي في اللغة العربية ، أنها ذات جوانب متعددة وخصائص متباينة [1]، تجعلها معقدة ، و يصعب على الشخص اللغوي إخضاع عملية تكرارها على قاعدة معيارية قائمة بذاتها ، تسهل معرفتها و القبض عليها في النص بحسب تلك القواعد ، إنما يرتكز ذلك على الذوق، فهو الآلية أو الأداة الوحيدة التي تستميز بها جمالية التكرار الصوتي، و سبب ذلك اختلاف دلالة الحرف حسب موقعه في سياق الكلام، فقد تحصل بتكراره زيادة في المعنى ، و تصويره للواعج و خوالج المتكلم ، و لعل لفيفا من علماء اللغة العربية من اهتموا بهذا النوع من التكرار مثل ما فعل ابن جني في كتابه: الخصائص حينما ذكر الزعزعة و القلقلة و الصلصلة [2] و لكن بصرف النظر عن هذه الصعوبة و التعقيد و التباين التي تتسم بها الحروف ، لأنها باتفاق علماء اللغة تحدث ترنيما إيقاعيا لا يمكن تلافيه في النص ، إذ يعبر عن دلالة الانفعال النفسي و التأثر الملموس في القارئ أو السامع ، و يهيئهما للدخول في محتوى أو مضمون النص [3] و يكون لتكرار الصوت حينئذ وظيفة جمالية و وسيلة لتقوية العواطف و المشاعر عندهما و مثال ذلك من الأحاديث النبوية ، الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه و هو قوله صلى الله عليه و سلم مخاطبا إحدى النساء قائلا :"يا أم السائب مالك تزفزفين"[4] فيمنح الرسول صلى الله عليه و سلم معنى جديدا لهذه الكلمة المألوفة في اللغة العربية بمعنى آخر قد تواضعت العرب عليه ، بالإضافة إلى جرسها و نغمها الذي يكسب المعنى تشخيصا أكثر و تقريبا من السامع ، فإنه يحمل دلالة معينة يوضحها السياق ، تتعلق بالحالة المرضية التي أصابت المرأة و هي إصابتها بالحمى الشديدة المصحوبة برعشة مفضية إلى الهذيان و من أمثلة الأحاديث النبوية الأخرى ، التي يحدث فيها انسجام في الحروف ، و جرس ترنيمي هائل ، تتفاعل معه الروح ، و يتناسب مع السياق ، الحديث المروي عن البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب أحد جلسائه قائلا له :" يا فُلان، إذا أَوَيْتَ إلى فِراشَك فقلْ: اللَّهمَّ أسْلمتُ نفسْي إليك، ووَجَّهتُ وجْهي إليك، وفَوَّضتُ أمري إليك، وأَلْجاتُ ظهري إليك، رغْبةً ورَهْبةً إليك، لا مَلجَأ ولا مَنْجَي منك إلَّا إليك، آمنْتُ بكتابِك الذي أنْزلتَ، وبنبِيِّك الذي أَرْسلْتَ، فإنَّك إنْ مُتَّ مِن ليلتِك مُتَّ على الفِطرةِ، وإنْ أصْبَحتَ أصَبْتَ

[1] كمال محمد بشير : علم اللغة العام (الأصوات) ،دار المعارف ط4 القاهرة ،مصر1970،ص216

[2] عثمان ابن جني : الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 القاهرة / مصر ،ج 2 ص 153

[3] موسى ربابعة : التكرار في الشعر الجاهلي –دراسة "أسلوبية –مجلة مؤتة م 5، ع1، الأردن ص 167

[4] أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم ، الحديث رقم 2575 كتاب البر و الصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحوه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت/لبنان ،ج4 ، ص 194

خَيرًا » [1] فيلاحظ بأن حرف التاء قد تكرر أثنى عشرة مرة ، و هو حرف يتناسب مع السياق الذي ورد الحديث بشأنه ، والزمن الذي يحدث فيه و هو وقت النوم الذي يشبه الموت المؤقت ، الذي تتلاشى فيه الروح و الجسد معا ويسلمان إلى بارئهما في طمأنينة و سكينة تظهران عند النائم .

ثالثا: جمالية تكرار العبارة:

يحدث تكرير العبارة هو أيضا أثرا إنفعاليا في نفس المتلقي و يشعره بالجمال بسبب فنية التكرار، وفق نسق تعبيري معين ، يجري فيه تكرار المقاطع المكونة لمجموعة من الألفاظ إيقاعا متناغما ، يولد لدى السامع أو القارئ تأثيرا عميقا و انسجاما نفسيا ، و قد ورد هذا النوع من التكرير في خطبة حجة الوداع التي يستهلها بقوله صلى الله عليه و سلم : " إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا في بلَدِكُم هَذَا، ألا هَلْ بلَّغْت " ثم يختم خطبته بقوله :"اللهم أشهد"[2] يكررها ثلاث مرات. ، تكرار تبرئة للذمة من ناحية ، ثم تأكيد عدم تقصيره في تبليغ الدعوة الإسلامية التي بعث من أجلها من ناحية أخرى ، و أن ما يقع من تردد و تخاذل بعد اتباع الدين الجديد فإن تبعته ستكون على القوم الذين بعث فيهم، فهم الذين سيتحملون وزره.

و في تكرار العبارة "اللهم أشهد" دلالة على ثقل عبء التركة و مسؤوليتها العظيمة .و من الأحاديث النبوية الأخرى التي تكررت فيها العبارات فتدل دائما على الأثر الواضح الذي تتركه في وجدان المتلقي، بسبب الانسجام داخل السياق ، و الوقع الناجم عن فنية التكرار على نسق تعبيري معين مثل قوله صلى الله عليه و سلم " رحم الله عبدا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى ، سمحا إذا اقتضى" [3]فتكررت عبارة "سمحا إذا" أربع مرات ، لتحدث تناغما لافتا ، و تناسقا مبهرا و لاسيما عندما تساوت الفواصل حيث تتساوق لإنتاج المعنى بجمالية ممتعة و نعثر على الملامح المعنوية و الفنية النسقية ذاتها في حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه و سلم فيه: " السَّخيُّ قريبٌ من اللهِ عزَّ وجلَّ قريبٌ من الخيرِ ، قريبٌ من الجنَّةِ ، قريبٌ من النَّاسِ ، بعيدٌ من النَّارِ البخيلُ بعيدٌ من اللهِ بعيدٌ من الخيرِ ، بعيدٌ من الجنَّةِ ، بعيدٌ من النَّاسِ ؛ والجاهلُ السَّخيُّ أقربُ إلى اللهِ من عالمٍ بخيل" [4] هذا النوع من التكرير الذي يحدث الترادف و التضاد في آن ، يزيد من قوة المعنى و يضفي جمالية يسببها تقابل المعنيين ، بتضاد صفتي البعد و القرب و يكونان وحدة

[1] علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد –باب قوله تعالى:" أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون "، ج11 ، ص 94 .

[2] أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم ،الحديث رقم 1218 ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه و سلم ،ج2، ص 88

[3] جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية ، ط6 بيروت .لبنان 2012 ، ج2ص12

[4] المصدر نفسه ، ج 2 ص 67

متلاحمة ، و نسج نغمي يأسر الأذن و يرصف القلب ، و يهيمن على العقل. و في تكرار عبارة " رغم أنف رجل" تأثير فني يرهف حس السامع ، و يضفي على نص الحديث رونقا و جمالا حين يقول النبي صلى الله عليه و سلم « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ [1] ».يلاحظ تطريز للتركيب ، و تطريب للنص يحدثه التناغم الصوتي الذي يأسر القلب و اللب معا، و يولد لدى السامع قدرة فائقة على استراق السمع و لدى القارئ قدرة مثلها على شدة الانتباه يفضيان بهما إلى إحساس فريد بالمتعة، و التشوق إلى تلافي الوقوع في مغبة الخطأ و التقصير .

و إن من التكرارات التي لاحظناها سابقا و نلاحظها أيضا في أحاديثه صلى الله عليه و سلم ، إفادتها لتوكيد الحدث أو الفعل ، و لفت إنتباه المتلقي للفكرة أو المعنى المقصود في السياق ، و الإلحاح على التشبث به ،كما في قوله صلى الله عليه و سلم :« اللهُ اللهُ ربّي لا أُشرِكُ به شيئًا ، اللهُ اللهُ ربّي لا أُشرِكُ به شيئًا[2]»، حيث تكررت العبارة مرتين للدلالة على جلب الانتباه بشدة ، يقود إليه تناسق الكلمات و تكرارها في مكانها المناسب ما يزيدها جمالا و بهاء.

ثانيا: تكرار المعاني

لم يقتصر الرسول صلى الله عليه و سلم على تكرار الكلام الملفوظ فقط للغايات التي ذكرناها بل استخدم المعنى أيضا و كان الهدف من ذلك هو التأكيد على أهمية محل الحديث ، فيقوم بعرض المعاني بطرائق و ألفاظ مختلفة و لعل أهم مزية تبرز في هذا النوع من التكرار هي دفع الملل عن المتلقي سواء كان قارئا أم سامعا،[3]و من آيات امتلاك الرسول صلى الله عليه و سلم لناصية اللغة العربية و اطلاعه على أسرارها ، أنه كان يختصر له الكلام اختصارا ، إلا أنه و إن كان قليل اللفظ ، فإنه يحتوي على كثير من المعاني و الحقائق الجمالية ، و سنجتزئ بنموذج حديث يبرز سمة تكرار المعنى لعله يكفي للدلالة على القوة اللغوية و البيانية التي يمتلكها النبي عليه الصلاة و السلام ، فقد أراد أن يبين أهمية النية في أعمال المسلم ، و قد عبر على ذلك ، بعبارات مختلفة لكنها تدل على واحدية المعنى من خلالها في قوله :« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ

[1] المصدر السابق : ج2-ص15

[2] ابن حبان : صحيح ابن حبان ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف القاهرة . مصر 1952 : ج 3 ص146

[3] ابن قتيبة الدينوري : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت .لبنان 2007 ، ص 152

هِجْرَتُـهُ إِلَـى دُنْيَـا يُصِـيبُهَا، أَوْ إِلَـى امْـرَأَةٍ يَنْكِحُهَـا، فَهِجْرَتُـهُ إِلَـى مَـا هَـاجَرَ إِلَيْـهِ[1] » فقـد عمـد الرسـول لمعرفتـه بقيمـة النيـة فـي ممارسـة الأعمـال التعبديـة التـي يـراد التقـرب بهـا إلـى اللـه عزوجـل ، إلـى تكـرار معناها و إبرازه في حلل لغوية مختلفة الألوان ، وفي صور موشاة بزخرف زادها طيبة و جمالا.

الخاتمة : إن سمة التكرار التي اتكأ عليها النبي صلى الله عليه و سلم ، قاصدا منح خطاباته للبشرية ولاسيما الناس الذين عاصروه، سهولة في التلقي و الاستقبال برحابة صدر ، و رهافة حس وفيض نفس ، فلم يكن التكرار الوارد فيها مقحما إقحاما محشوا يقرع الأذن فيمجه السمع و ينصرف عنه العقل ، ويرغب عنه القلب، إنما جاء عفو الخاطر بسجية وأريحية تبعث الاطمئنان في الذات، فتتفاعل مع محتواه بإرادة و انشراح ،وتتذوق لذته و متعته الجمالية التي تنعدم مثيلتها في خطابات البشر قاطبة .

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، حديث رقم 523 كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، من حديث أبي هريرة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 1954ج 1.
2. علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حديث رقم 95 ،كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، مكتبة الإيمان ، القاهرة / مصر 2003 ، ج1.
3. محمد عثمان نجاتي : الحديث النبوي الشريف و علم النفس ، دار الشروق ،ط/4 القاهرة 2000 م.
4. محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء / المغرب 1986.
5. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها ، دار القلم للطباعة ، دمشق ، ط1996/1.
6. الجاحط : البيان و التبين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة / مصر 2006 ، ج1.
7. حميد حماموشي : آليات الشعرية بين التأصيل و التحديث – مقاربة تشريحية لرسائل ابن زيدون ، عالم الكتب الحديث ، الأردن 2013.
8. ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت / لبنان ، ط 5 / 1981، ج2.

[1] **علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح البخاري ، الحدبث رقم 1 ،كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه و سلم، ج 1 ، ص 15**

9. انظر ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ،بيروت/لبنان 1999.
10. ازك الملائكة :قضايا الشعر المعاصر ،مطبعة دار التضامن –بغداد –العراق، ط/2-1965.
11. عبد القادر عبو: فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2007.
12. محمد بنيس : الشعر العربي الحديث – الشعر المعاصر ، دار توبقال – الدار البيضاء 2001.
13. ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة وما بعدها ، دار الكتب العلمية ط 1 بيروت / لبنان 1982.
14. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي، ط 2 القاهرة. مصر 1989.
15. سورة مريم – الآية 4.
16. سورة الكهف – الآية109 .
17. محمد عيسى الترمذي: الجامع الصحيح، حديث رقم 3862 في فضائل الصحابة ، باب في من سب الصحابة من حديث عبد الله بن مغفل وزارة الشؤون الإسلامية و الدعوة و الإرشاد .السعودية 2000 ، ج 5 .
18. عزالدين علي السيد : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار إقرأ ، ط1مصر /1984
19. محمد عيسى الترمذي: الجامع الصحيح ، ج 5.
20. عزيز العمراني الإدريسي : مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف –مجلة شبكة ضياء عدد /10 2017.
21. كمال محمد بشير : علم اللغة العام (الأصوات) ،دار المعارف ط4 القاهرة ،مصر1970 .
22. عثمان ابن جني : الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 القاهرة / مصر ،ج 2.
23. موسى ربابعة : التكرار في الشعر الجاهلي –دراسة "أسلوبية –مجلة مؤتة م 5، ع1، الأردن.
24. أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم ، الحديث رقم 2575 كتاب البر و الصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحوه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت/لبنان
25. علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد –باب قوله تعالى:" أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون "، ج11.
26. أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم ،الحديث رقم 1218 ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله

عليه و سلم ،ج2.
27. جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية ، ط6 بيروت لبنان 2012 ، ج2.
28. ابن حبان : صحيح ابن حبان ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف القاهرة . مصر 1952 : ج 3.
29. ابن قتيبة الدينوري : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 2007.
1 علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح البخاري ، الحدبث رقم 1 ،كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه و سلم، ج 1 .